الفصل الثالث
اجتماع السقيفة

المرحلة الأولى: آراء ومواقف

رأي الأنصار سكان المدينة المنورة

بعد وفاة النبي (ﷺ) اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وأخذوا يتناقشون حول الشخصية التي يجب أن تتولى أمور المسلمين بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) وقد طرحوا أفكارًا متنوعة، منها:

١ - ترك الأمر للأمة الإسلامية؛ لتختار من تشاء لهذا الأمر، على أن يكون المرشح قادرًا على حراسة الدين الإسلامي، وسياسة أمور المسلمين الدنيوية.

٢ - لا فرق في ذلك بين أن يكون المرشح من قريش أو من غيرها. وقد اعتمدوا في ذلك على حديث النبي (ﷺ) (اسمعوا وأطيعوا، وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة).[١]

٣ - أن يختاروا سعد بن عبادة سيد الخزرج لهذا المنصب، معتمدين في ذلك على ما يلي:

أ - أنهم من السابقين في الإسلام.

ب - أنهم نصروا رسول الله (ﷺ) وأصحابه.

جـ - هم الذين أمّنوا للمهاجرين الحماية والإيواء (فهم أهل الإيواء)؛ لأن الهجرة كانت إليهم حسب قول (الخباب بن المنذر بن الجموح).[٢]

د - ما أوضحه (سعد بن عبادة) في كلمته التي قالها عندما أُحضر وهو مريض إلى السقيفة مخاطبًا ابنه، أو ابن عمه: (إني لا أقدر لشكواي من مرضي أن أُسمع القوم كلهم كلامي، فتلق عني وأسمعهم)، وقال:

---

(١) أخرجه البخاري، ج ٩ ص ٧٨

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٨ الطبري، ج ٣ ص ٢١٨ ابن ماجه، ص ٢٨٦٠ أحمد بن حنبل في المسند، ج ٣ ص ١١٤ البيهقي، ج ٨ ص ١٥٥

(يا معشر الأنصار، إن لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب، أن محمدًا (ﷺ) لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأوثان، فما آمن به من قومه إلا قليل من الرجال. والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله (ﷺ) ولا أن يعزوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيمًا عُموا به، حتى أراد الله بكم الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله (ﷺ) والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد ضد أعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوه، وأثقله على عدوه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله تعالى طوعًا وكرهًا، وأعطى البعيد المَقَادة صاغرًا داخرًا حتى أثخن الله (ﷻ) لرسوله بكم الأرض، ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله وهو راضٍ عنكم، وبكم كان قرير العين، فاستبدوا بهذا الأمر؛ فإنه لكم دون الناس)[1] فأجابوه جميعًا بأنه أصاب في القول، ووفق في الرأي، وأطلعوه على رغبتهم في مبايعته بالإجماع.

رأي المهاجرين

كان بين المهاجرين أسد بن حضير من بني الأشهل، فقالوا بوجوب أن تكون الخلافة لرجل من قريش حصرًا، وقد أخذ برأيهم عامة الحضور، وحجتهم في ذلك:

١ - ما رواه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) (الأئمة من قريش)[2] فالنبي (ﷺ) يعلم أن قريشًا - بعصبيتها - تستطيع حماية المسلمين وحلّ خلافاتهم ولمّ شملهم؛ لأن لها العزة والجاه والشرف والسيادة على سائر مضر، وهذا اعترفت به سائر العرب.

٢ - لأن المهاجرين (قريش) قد خصهم الله (ﷻ) بتصديق رسالة نبيه محمد (ﷺ) والإيمان به والصبر معه على الشدة وذل القوم لهم وكثرة البلاء، ولم ينظروا لقلة عددهم، أو إجماع القوم عليهم.

٣ - لأنهم أولياء النبي (ﷺ) وعشيرته؛ فهم أحق الناس من بعده بالخلافة[3]

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ٩ الطبري، ج ٣ ص ٢١٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٢٨

(٢) أحمد بن حنبل، ج ٤ ص ٢٩٩

(٣) ابن قتيبة، ص ٩ الطبري، ج ٣ ص ٣٠٩

رأي بنو هاشم

قالوا بأن الخلافة يجب أن تكون لبني هاشم، ورشحوا لها عليًّا بن أبي طالب (رضي الله عنه)، وحجتهم في ذلك، ما يلي:

١ - أنهم قرابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه).

٢ - ولأن والد سيدنا علي (رضي الله عنه) هو عم النبي (صلى الله عليه وسلم) وقد حماه عندما اضطهدته قريش.

٣ - لأن عليًّا (رضي الله عنه) زوج ابنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاطمة الزهراء، التي أنجبت الحسن والحسين (رضي الله عنهما).

٤ - كان علي (رضي الله عنه) بمقام الأخ للنبي (صلى الله عليه وسلم) لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) له عندما خلفه علي (رضي الله عنه) في أهله في غزوة تبوك (أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبوة بعدي).[١]

٥ - علي (رضي الله عنه) أول من أسلم وآمن من الصبيان.

٦ - شجاعة علي (رضي الله عنه) وفروسيته.

كلُّ هذه الأسباب والصفات كانت مبررًا لأن يتقدم العباس عم النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى علي (رضي الله عنه)، ويطلب منه أن يمد يده ليبايعوه، لكنّ عليًّا (رضي الله عنه) لم يستجب لهذا الطلب؛ متحسبًا من أمريْن:

١ - حتى لا يُفسَّر الأمر بأن الخلافة وراثية، لاسيما أنه لم يردْ نصٌّ في القرآن الكريم أو عن النبي (صلى الله عليه وسلم) يشير إليه.

٢ - لاعتقاده بأن المسلمين سَيُجمعون عليه للأسباب التي ذُكرت، فلا داعي للعجلة؛ لذلك قال لعمه: (مهلًا يا عم، ومن يطلب هذا الأمر غيرنا)[٢]

المرحلة الثانية من اجتماع السقيفة

١ - الحوار بين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) والأنصار:

عندما علم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) باجتماع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، سار إليهم مسرعًا ومعه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح (أمين الأمة) (رضي الله عنهما)، وقد التقيا وهم في

---

(١) ابن سعد، الطبقات ج ٣ ص ٢٤ - أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٧٣ البيهقي، ج ٩ ص ٤٠ البخاري، ج ٥ ص ٤٢ مسلم في فضائل الصحابة ٣٢ الترمذي، ص ٣٧٢٤

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٢

الطريق برجلَيْن، فقالا لهما: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ قالوا: نريد إخواننا من الأنصار، فأرشدوهم إلى مكانهم، وأوضحوا لهم ما تم تداولوه من الأفكار بشأن الخلافة بعد وفاة رسول الله (ﷺ). وعندما وصلوا إلى السقيفة، وجدوا رجلًا مزملًا بين ظهرانيهم، فقالوا: من هذا؟ قالوا: هذا سعد بن عبادة الخزرجي، وقد أحضروه، وهو مريض، وهؤلاء جماعته من أشراف الأنصار، فسلموا وجلسوا قليلًا، فنهض خطيب الأنصار وتشهّد، وأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد: فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفَت دفة من قومكم، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا، وأن يبعدونا عن الأمر).

فلما سكت، أراد عمر بن الخطاب الكلامَ؛ فقال له أبو بكر: على رسلك يا عمر. فقال عمر: (كرهت أن أغضبه) وتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر، والله ما ترك كلمة أعجبتني من مقالتي التي كنت سأقولها إلا قال في بديهيته مثلها، أو أفضل منها، حتى سكت)[1]

فماذا قال أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)؟

قال:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

إن الله (ﷻ) بعث محمدًا (ﷺ) بالهدى ودين الحق، فدعا إلى الإسلام، فأخذ الله (ﷻ) بنواصينا وقلوبنا إلى ما دعا إليه، فكنا معشر المهاجرين أولَ الناس إسلامًا، والناس لنا فيه تُبَّع، وما ذكرتم فيكم من خير، فأنتم له أهل. ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا، ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة، وأنتم أيضًا والله الذين آووا ونصروا، وأنتم وزراؤنا في الدين ووزراء رسول الله (ﷺ)، وأنتم إخواننا في كتاب الله (ﷻ)، وشركاؤنا في دينه (ﷻ)، وفيما كنا من سراء وضراء، والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه، فأنتم أحب الناس إلينا، وأكرمهم علينا، وأحق الناس بالرضا بقضاء الله (ﷻ)، والتسليم لأمره (ﷻ)، لما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين (رضي الله عنهم)، فلا تحسدوهم وأنتم المؤثرون على أنفسكم حين الخصاصة. والله ما زلتم تؤثرون إخوانكم من المهاجرين وأنتم أحق الناس أن لا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم، وأبعد أن تحسدوا إخوانكم على خير ساقه الله (ﷻ) إليهم، فإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة بن الجراح

(١) رواه البخاري، ص ٦٨٣٠

أو عمر بن الخطاب، وكلاهما رضيت لكم، وكلاهما له أهل[1] فقام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وطالب بأحقية أبي بكر(رضي الله عنه) في الخلافة، وذكّرهم بأنّ أبا بكر (رضي الله عنه) صاحب الغار، وثاني اثنين، وبأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) استخلفه في الصلاة بالمسلمين مُقدِّمُه على سائر الصحابة[2]، لكن الأنصار كان لهم رأي آخر.

رأي الأنصار:

اقترحوا أن يتولى أمور المسلمين اثنان: واحد بعد الآخر، أحدهما من المهاجرين، والآخر من الأنصار، وتستمر هذه المهمة (الخلافة) محصورة بينهما على التعاقب، لكن هذا الرأي لم يلقَ قبولًا من المهاجرين.

رد أبي بكر (رضي الله عنه)

تكلم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)، وأبرز دور المهاجرين في تمكين الدعوة الإسلامية، وصبرهم على الشدائد والاضطهاد، ووضع الأنصار في منزلة تلي المهاجرين؛ لأنهم نصروا النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه على الكافرين من أهله وذويه، وإذا جاز للمهاجرين أن يكونوا أمراء فلا بدّ أن يكون الأنصار لهم وزراء لا يقطعون بأمرٍ دون مشورتهم[3]

رد الأنصار:

لم ينلْ هذا الرأي استحسانَ الأنصار فوقف (الخباب بن المنذر بن الجموح)، وقال: (يا معشر الأنصار، املكوا عليكم أمركم، فإن الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترئ مجترئ على خلافكم، ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم، وأنتم أهل العز والثروة، وأولوا العدد والمنعة والتجربة، وذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، فلا تختلفوا؛ فيفسد عليكم رأيكم، وينتقص عليكم أمركم، فإن أبَى هؤلاء إلا ما سمعتم؛ فمنّا أميرٌ، ومنهم أمير).

رد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

وقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وقال: (هيهات، لا يجتمع اثنان في قرن!! أي أن السيفين لا يمكن أن يجتمعا في غمدٍ واحد، والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم وبينها

(١) ابن قتيبة، ص ٨ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٢٩

(٢) ابن قتيبة، ص ٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٣٠

(٣) ابن قتيبة، ص ١١ الطبري، ج ٣ ٢٢٠ – ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٢٨

من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورهم منهم، ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المُبين، من ذا ينازعنا السلطان الذي كان لمحمد (ﷺ) في إمارته، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٌّ بباطل أو متجانف لإثم، ومتورط في هلكة؟![1] ثم قال: (ألستم تعلمون أن رسول الله (ﷺ) قد أمر أبا بكر (رضي الله عنه) أن يصلي بالناس، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر) قالوا: (نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر)[2]

رد الأنصار، والبيعة الخاصة:

نهض (الحباب بن المنذر) مرة ثانية، وقال:

(يا معشر الأنصار، املكوا على أيديكم، ولا تسمعوا هذه المقالة، فيذهب نصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوْا عليكم ما سألتموه؛ اجْلوهم من البلاد، وتولوا عليهم هذا الأمر؛ فأنتم - والله - أحق به منهم، فإنه بأسيافكم دانَ لهذا الدين مَن دان.. أنا جذيلها المحنك، وعذيقها المرجب، فإن شئتم لنعيدها جذعة (أي: فتية).

فقال أبو عبيدة: (يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدل وغيّر).

فقام بشير بن سعد (أبو النعمان بن بشير) وقيس بن سعد الخزرجي مؤيدين لما قاله أبو عبيدة، فقال بشير: (يا معشر الأنصار، إنا - والله - لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلا رضا ربنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغي به من الدنيا عرضًا، فإن الله ولي المنة علينا بذلك، ألا إن محمدًا (ﷺ) من قريش، وقومه أحق به وأولى، وأيم الله لا يراني الله أنازعهم هذا الأمر أبدًا؛ فاتقوا الله، ولا تخالفوهم، ولا تنازعوهم.[3]

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): (هذا عمر، وهذا أبو عبيدة، فأيهما شئتم فبايعوا؟ فقال أبو عبيدة وعمر: (لا والله، لا نتولى هذا الأمر عليك؛ فإنك أفضل المهاجرين وثاني اثنين إذ

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٢٠

(٢) النسائي ج١ ص ٣٩٦ الحاكم، ص ٤٤٣٣

(٣) ابن قتيبة، ص ١١ الطبري، ج ٣ ص ٢٢٢

هما في الغار، وخليفة رسول الله (ﷺ) في الصلاة، والصلاة أفضل دين المسلمين، فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك؟ ابسط يدك نبايعك). فلما ذهبا ليبايعاه سبقهما إليه بشير بن سعد، فبايعه ولم يطع (الحباب بن المنذر الجموح)، وقال له: (لقد بايعت؛ لأني كرهت أن أنازع قومًا حقًّا جعله الله لهم).

فقال (الحباب بن المنذر): (فعلتموها يا معشر الأنصار، أما والله كأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم، ولا يسقون الماء).

فقال أبو بكر (رضي الله عنه): (أمنّا تخاف يا حباب؟) قال: (ليس منك أخاف، ولكن ممن يجيء بعدك) قال أبو بكر (رضي الله عنه): (فإذا كان ذلك كذلك إليك وإلى أصحابك، ليس لنا عليكم طاعة)، قال الحباب: (هيهات يا أبا بكر، إذا ذهبت أنت وأنا جاءنا بعدك من يسومنا الضيم)[1]

ولما رأى الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة؛ قال بعضهم (أسيد بن حضير) وهو أحد النقباء: (والله، لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معها فيها نصيبًا أبدًا، فقوموا فبايعوا أبا بكر)، فقاموا إليه وبايعوه، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا عليه من أمرهم، ورحل سعد إلى الشام، ومات فيها.[2]

ثم أقبلت قبيلة (أسلم) وبايعت أبا بكر (رضي الله عنه) فقال عمر بن الخطاب: (ما هو إلا أن رأيت أسلم بايعت؛ فأيقنت بالنصر)[3] كانت هذه البيعة الخاصة، وتمت في سقيفة بني ساعدة.

أما البيعة العامة، فتمت في اليوم التالي، وصادف يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة للهجرة[4] وكان ذلك في المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة. عندها قام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فحمد الله وأثنى عليه، ثم طلب من المسلمين مبايعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) فبايعوه، وكانت هذه البيعة العامة.[5]

---

(١) ابن هشام، ج ٥ ص ٣٢٦

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٢٢٣ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٣١

(٣) ابن هشام، ج ٥ ص ٣٢٨ « كان الخزرج قد فقدوا زعيمهم سعد بن معاذ قبل وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم)

(٤) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ٦٣

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٢

وقد قال عمر بن الخطاب بعد البيعة: (إنا والله ما وجدنا فيما حضر من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، فقد خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلًا منهم، فإما بايعناهم على ما لا نرضى، وإما خالفناهم فيكن فساد)[1] هكذا تمت البيعة العامة بعد حوار ساخن كاد يعصف بروابط الأخوة الإسلامية، لكنه أسفر عن تبلور الآراء، وتوحيد المواقف والأفكار، وأكد سيادة القيم وإحقاق الحق، وأدى لانفراج الأزمة التي تُوجت بالاتفاق على خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) على النحو الذي كان مألوفًا عند العرب في الجاهلية عندما كانوا يختارون شيوخ قبائلهم. وقد تم اختيار أبي بكر (رضي الله عنه) لأنه يتمتع بمزايا حميدة، منها:

١ - سبقه إلى الإسلام.

٢ - تصديقه للنبي (صلى الله عليه وسلم) في كل ما قاله أو فعله.

٣ - انتماؤه لقبيلة قريش.

٤ - لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) فوضه بإمامة المسلمين في الصلاة عندما اشتد عليه مرضه.

٥ - ولأن أبا بكر (رضي الله عنه) ثاني اثنين إذ هما في الغار.

٦ - ولأنه والد السيدة عائشة (رضي الله عنها) زوجة النبي (صلى الله عليه وسلم).

٧ - ولأنه لازم النبي (صلى الله عليه وسلم) في حلّه وترحاله.

٨ - ولا شك أنّ سِن أبي بكر التي قاربت الستين عامًا كان لها احترامها وتقديرها عند العرب.

٩ - وهو من الرجال الذين لهم كلّ الاحترام في الجاهلية والإسلام، وسيرته الذاتية تؤهله لهذه المكانة.

ولما تمت مبايعة أبي بكر (رضي الله عنه) من قِبل المهاجرين والأنصار، صعد أبو بكر (رضي الله عنه) إلى المنبر، وقال بعد أن حمد الله (عز وجل) وأثنى عليه: (أيها الناس، قد وُليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ له حقه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله (عز وجل)، لا يدع أحدٌ منكم الجهاد؛ فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإن عصيت الله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم؛ يرحمكم الله).[2]

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٠٠

(٢) ابن هشام، ج ٤ ص ٣١١ الطبري، ج ٣ ص ٢٣٠ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٣٢ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥ ص ٢٤٨ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٥

وأخرج الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قال: خطب أبو بكر فقال: (والله ما كنت حريصًا على الإمارة يومًا ولا ليلة قط، ولا كنت راغبًا فيها، ولا سألتها الله في سرٍّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الإمارة من راحة، لقد قلدت أمرًا عظيمًا ما لي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية الله (عز وجل) لي.

فقال علي بن أبي طالب، والزبير بن العوام: (ما غضبنا إلا لأننا أُخرنا عن المشورة، وإنا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها، إنه لصاحب الغار، ونعرف خيره وشرفه، ولقد أمره رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالصلاة في الناس، وهو حي).[1]

موقف علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وبني هاشم بعد مبايعة الناس لأبي بكر (رضي الله عنه)

امتنع علي (كرم الله وجهه) وجماعته من بني هاشم ومعهم الزبير بن العوام عن بيعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، وتجمعوا في دار السيدة فاطمة (رضي الله عنها) فخرج إليهم عمر بن الخطاب مع بعض الصحابة، وحاورهم، وتم الاتفاق معهم (بني هاشم والزبير) على مبايعة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[2]

أما علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فلم يبايع أبا بكر إلا بعد فترة اختلف المؤرخون في مدتها، وقد انحصرت المدة بين أربعين يومًا وستة أشهر، والأرجح أنها ستة أشهر - بإجماع المؤرخين العرب - وهذا بعد وفاة السيدة فاطمة (رضي الله عنها)[3]

وقد كان لسيدنا علي بن أبي طالب أسبابُه، التي أجلت بيعته لأبي بكر منها:

١ - اعتبر أن أبا بكر قد اغتصب الخلافة منه؛ لأنه قال للأنصار: (لا بد أن تحصر الخلافة في عشيرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال علي: (أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، وقد أخذتم هذا الحق من الأنصار بحجة القرابة من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وها أنتم تأخذوه من أهل البيت غصبًا، ألستم من قال للأنصار إنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد (صلى الله عليه وسلم) منكم فأعطوكم القيادة، وسلّموا إليكم الإمارة، فأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار.

---

(١) ابن كثير، ج ٥ ص ٢٥٠

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ص ١٤

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٢٣٢ اليعقوبي، ج ٢ ص ١٢٦ ابن الأثير، ج ٢ ٣٢٥ ابن كثير، ج ٥ ص ٢٨٥

٢ - نحن أولى برسول الله (ﷺ) حيًّا وميتًا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون).

وقد بكت فاطمة (رضي الله عنها)، وأظهرت عدم رضاها عما فعل أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب (رضي الله عنهما)، مما لم يحسم موقف علي (كرم الله وجهه) نهائيًّا بالبيعة. وظل حتى وفاة السيدة فاطمة (رضي الله عنها).

لكن عليًّا (كرم الله وجهه) رغم اعتراضه وعدم مبايعته لأبي بكر (رضي الله عنه) لم يترك أي أثر سيء، ولم يضع أي عقبات في طريق بيعة أبي بكر (رضي الله عنه)، والدليل على ذلك:

١ - أن سيدنا عليًّا (كرم الله وجهه) لم يقبل بمبايعة فريق من الناس له شخصيًّا، وذلك حتى يمنع الفتنة والانقسام.

٢ - لأنه كان يُقدّر أبا بكر (رضي الله عنه) تقديرًا فائقًا لمزاياه الحميدة.

٣ - لم يقبل عرض أبي سفيان الذي مدَّ يد العون له ضد أبي بكر (رضي الله عنه)، وقال له: (والله، إنك ما أردت بهذا العرض إلا الفتنة، وإنك - والله - طالما بغيت للإسلام شرًّا، لا حاجة لنا في مساعدتك، ولا نصيحتك)[١] وقال أيضًا: (إنا وجدنا أبا بكر أهلاً لها).[٢]

وكان قد رفض الشعر التحريضي الذي قاله عتبة بن أبي لهب بعد أن سمعه منه، فزجره ونهاه عن ذلك. والشعر هو:

من أول الناس إيمانًا وسابقة ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن
وآخر الناس عهدًا بالنبي ومن ... جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون به ... وليس في القوم ما فيه من الحسن

الآيات القرآنية التي تشير إلى خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

١ - أخرج ابن جرير عن الضحاك في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٣] قال:

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٣٣ ابن الأثير، ج ٢ ص ٣٢٦

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٥

(٣) المائدة، الآية ٥٤ تفسير ابن جرير

والله هم أبو بكر وأصحابه. ولما ارتدت العرب؛ قاتلهم أبو بكر وأصحابه حتى عادوا للإسلام.

٢ - أخرج الخطيب البغدادي عن أبي بكر بن عياش، أنه قال: أبو بكر الصديق خليفة الله في القرآن؛ لأن الله (ﷻ) قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[١] فمن سماه الله (ﷻ) صادقًا فليس يكذب، وهم قالوا يا خليفة رسول الله)[٢]

٣ - قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[٣]

٤ - وقال أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ۖ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾[٤]

٥ - وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٥]

الأحاديث التي تشير إلى خلافة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

١ - أخرج أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم، عن حذيفة، قال: قال رسول الله (ﷺ) (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)[٦]

٢ - وفي الصحيحين، عن ابن سعيد الخدري، قال: خطب النبي (ﷺ)، فقال: (إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده؛ فاختار ما عند الله). فبكى أبو بكر (رضي الله عنه).

---

(١) الحشر، الآية ٨

(٢) تاريخ البغدادي، ج ١٤ ص ٣٩٦

(٣) الفتح، الآية ١٦

(٤) الحديد، الآية ١٩

(٥) النور، الآية ٥٥

(٦) أحمد، ج ٥ ص ٣٨٢ الترمذي، ٣٦٦٢ ابن ماجه، ص ٩٧ الحاكم، ٤٤٥٥

٣ - وقال النبي (ﷺ): (لا يبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر)، وهذه إشارة إلى الخلافة؛ لأنه يخرج منها إلى الصلاة بالمسلمين.(١)

٤ - أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم، قال: أتت امرأة للنبي (ﷺ) فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت. قال(ﷺ): (إن لم تجديني؛ فأْتي أبا بكر).(٢)

٥ - وعن أنس (رضي الله عنه) قال: (بعثني بنو المصطلق إلى رسول الله (ﷺ) أن أسأله.. إلى من ندفع صدقاتنا بعدك؟) فأتيته وسألته، فقال: (إلى أبي بكر).(٣)

٦ - وأخرج مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: قال لي رسول الله (ﷺ) في مرضه: (ادعي لي أبا بكر أباك وأخاك؛ حتى أكتب كتابًا فإني أخاف أن يتمنى متمنٍّ، ويقول قائل: أنا أولى! ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر).(٤)

٧ - أخرج الشيخان عن أبي موسى الأشعري، أنه قال: مرض رسول الله (ﷺ) فاشتد مرضه، فقال: (أمّروا أبا بكر فليصل بالناس. فقالت عائشة (رضي الله عنها): يا رسول الله، إن أبا بكر رجلٌ رقيق، متى يقم مقامك لا يستطيع أن يصلي بالناس. فقال: مُري أبا بكر فليصل بالناس، فإنكن صواحبُ يوسف). قالت: فصلى بهم أبو بكر في حياة النبي (ﷺ).(٥)
قال العلماء: إن هذا الحديث دلالة على أن أبا بكر الصديق أحقُّ الصحابة، وأولاهم في الإمامة والخلافة.(٦)

٨ - أخرج أبو القاسم البغوي بسندٍ حسن، عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: (يكون خلفي اثنا عشر خليفة، أبو بكر لا يلبث إلا قليلًا).

---

(١) البخاري، ٣٩٠٤ مسلم، ٢٣٨٢ السيوطي، ص ٨٥

(٢) البخاري، ٣٦٥٩ مسلم، ٢٣٨٦

(٣) حلية الأولياء، ج ٨ ص ٣٥٨ الحاكم، ٤٤٦٠

(٤) مسلم، ٢٣٨٧

(٥) البخاري، ٦٧٨ مسلم، ص ٤٢٠

(٦) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٥٨

٩ - وعن أنس قال: قال رسول الله (ﷺ): (سدّوا هذه الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب أبي بكر).[١]

١٠ - وأخرج الطبراني عن ابن عمر، قال: (لم يجلس أبو بكر الصديق في مجلس رسول الله (ﷺ) على المنبر حتى لقي الله، ولم يجلس عمر في مجلس أبي بكر حتى لقي الله، ولم يجلس عثمان في مجلس عمر حتى لقي الله)[٢] قلت: وهذا إنما فعله أبو بكر تأدبًا مع رسول الله (ﷺ) وفعله عمر تأدبًا مع رسول الله (ﷺ) وأبي بكر، وفعله عثمان تأدبًا مع رسول الله (ﷺ) وأبي بكر وعمر (رضي الله عنهم) أجمعين.

هكذا يكون الأدب والتواضع والاحترام، فهم خلفاء استحقوا المنصب بجدارة واقتدار؛ لأنهم تعلموا وتخرجوا من مدرسة سيد الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد (ﷺ).

١١ - وهذا حسان بن ثابت يشيد بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)

إذا تذكرت شجوًا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... إلا النبي وأوفاها بما حملا

والثاني التالي المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرُسلا[٣]

فما هي واجبات الخليفة؟

١ - حفظ الدين الإسلامي على أصوله المستقرة وعلى ما أجمع عليه السلف الصالح في الأمة الإسلامية.

٢ - تنفيذ الأحكام التي تصدر عن القضاء على المتخاصمين؛ حتى يعم العدل، وتطبق حدود الشريعة الإسلامية.

٣ - حماية طرق المواصلات، وذلك يتم بمكافحة اللصوص وقطاع الطرق.

٤ - الاهتمام بالثغور وتحصينها بما يلزم من إمكانيات مادية وبشرية.

٥ - قيادة حركة الجهاد؛ لنشر الإسلام ولتثبيته والدفاع عنه.

---

(١) السيوطي، ص ٥٩

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥ ص ٢٥١ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٤

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٠

٦ - الإشراف على جباية الأموال المستحقة للدولة الإسلامية، حسب نصوص الشريعة الإسلامية.

٧ - توزيع أموال بيت مال المسلمين بعدالة، حسب نصوص الشريعة الإسلامية، ورعاية المحتاجين من فقراء المسلمين.

٨ - تعيين الكفاءات النزيهة والثقة في المناصب والمهام، كل حسب اختصاصه ومعرفته.

٩ - الإشراف على تسيير أمور الدولة بشكل مباشر، أو من خلال الولاة والقادة[١]

شروط تولي الخلافة

وقد أورد ابن خلدون في المقدمة أنه اشترط في الخليفة، ما يلي:

أ - العلم بالقرآن والسنة النبوية والأحكام الدينية؛ لأن ذلك يؤدي للاجتهاد الصحيح. والعلم منفذ لمعرفة أحكام الله ﷻ، فمتى كان الخليفة جاهلًا بها؛ لا يمكنه تنفيذها.

ب - العدالة؛ لأن الإمامة منصب ديني ينظر في كافة الأحكام التي يشترط فيها العدالة، فالأولى أن يكون هو عادلًا.

ج - الكفاية، أي أن يكون شجاعًا وقادرًا على إقامة الحدود، وخوض المعارك والحروب، وبصيرًا بها، وعنده القدرة على حمل الناس للمشاركة بها، ولديه دهاء سياسي وقوة فكر؛ ليتمكن من حماية الدين، وتدبير مصالح الرعية.

د - سلامة الحواس والأعضاء؛ لأن ضعفها أو فقدانها يؤدي للعجز عن التصرف السليم والحكم السديد[٢]

وقد أضاف بعض المؤرخين:

هـ - سلامة الرأي والفكر، وسرعة البديهة؛ لأن ذلك يؤدي إلى سلامة الرعية مع استقلال الرأي وموضوعيته التامة.

و - أن يكون مسلمًا عاقلًا قد بلغ سن الرجولة.

---

(١) الماوردي، ص ١٦

(٢) الخضري بك، إتمام الوفاء، ص ١٢

ز - النجدة لحماية البلاد إذا تعرضت لخطر، ومجاهدة الأعداء.

ح - النسب القرشي لازم لهذا المنصب؛ لتوفر كثير من الصفات المطلوبة فيه[١]

وأكد ابن خلدون على أنه إذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لها من العصبية القبلية والغلبة، وعلمنا أن المشرع لا يخص الأحكام بجيل ولا بعصر ولا بأمة؛ علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهو وجود العصبية، فاشتراطنا في القائم بأمور المسلمين (أن يكون من قوم أولي عصبة قوية غالبة على من معها في عصرها ليستتبعوا سواهم).[٢]

ويؤكد الماوردي على شرط النسب القرشي (لورود النص فيه، وانعقاد الإجماع عليه)[٣] باعتباره أساس العصبية التي تكون بها الحماية، وبها يرفع الخلاف، وتنتهي الفرقة والانقسام. فإن توفرت لصاحب المنصب تسكن إليه الملة وأهلها، وينتظم حبل الألفة فيها. وقريش كانت عصبية مضر وأهلها، وأهل الغلبة منهم، وكان لهم على سائر مضر العزةُ بالكثرة والعصبية والشرف، فكان سائر العرب يعترفون لهم بذلك ويستكينون لغلبهم، فلو جُعل الأمر في سواهم؛ لتوقع افتراق الكلمة بمخالفتهم وعدم انقيادهم، ولا يقدر غيرهم من القبائل المضرية أن يردهم عند الخلاف، ولا يحملهم على الكره، فتتفرق الجماعة وتختلف الكلمة، فاشتراط القرشية إنما قصد به دفع التنازع بين المسلمين[٤]؛ لأن القائم بأمور المسلمين لابد أن يكون من قوم أولي عصبية قوية مهابة.

وقد أورد المحدثون عددًا من الأحاديث النبوية التي تدل كلها على أن الأئمة من قريش، والخلافة فيهم[٥] لذلك تمسك المهاجرون بهذا الشرط في اجتماع السقيفة عندما طالب (سعد بن عبادة) بالخلافة، فردَّ عليه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يذكره بما قاله أبو بكر الصديق (رضي الله عنه): (لن تعرف العربُ هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش، هم

(١) ابن خلدون، المقدمة ص ٣٤٢ الماوردي، الأحكام السلطانية ص ٤٠ تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، د. بشير رمضان التليسي، د. هاشم الذويب ص ٦٥

(٢) الخضري بك، إتمام الوفاء، ص١٢

(٣) الماوردي، ص ٤٢

(٤) ابن خلدون، المقدمة، ص ٣٤٥

(٥) الطبري، ج ٣ ص ١٩٩ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٢

أوسط العرب نسبًا ودارًا)[1] وكان لهذا الرد أثرُه الكبير في تحرج موقف الأنصار وزعيمهم ابن عبادة، لاسيما أنه تم ترجيح كفة المهاجرين على الأنصار بعد أن كانت الكفتان قريبتيْن من التعادل، ومن المعروف أن قريشًا كانت لها الزعامة على العرب في الجاهلية باعتبار أهلها هم أهل الحرم والقائمون على البيت الحرام. وازدادت هذه المكانة سموًّا في الإسلام[2] ثم استند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على عصبية أخرى هي قرابة المهاجرين للنبي (صلى الله عليه وسلم)، فقال مخاطبًا الأنصار: (والله لا ترضى العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا ينبغي أن تولي هذا الأمر إلا لمن كانت النبوة فيهم، وأولي الأمر منهم لنا بذلك على من خالفنا من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين من ينازعنا سلطان محمد (صلى الله عليه وسلم) وميراثه، ونحن أولياؤه وعشيرته إلا مدلٌّ بباطل، أو متجانف لإثم، أومتورط في هلكة)؛ لهذا رجحت كفة أبي بكر (رضي الله عنه) باستناده إلى ركيزتين، هما:

١ - ركيزة الدين.

٢ - وركيزة العصبية[3]

(١) ابن هشام، ج ٤ ص ٣١٠ الطبري، ج ٣ ص ٣٠١

(٢) أحمد إبراهيم الشريف، دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، ص ١١٢

(٣) عبد الكريم الخطيب، الخلافة والإمامة، ص ٣١٩